الامام علي و التضحية في سبيل الله

<"xml encoding="UTF-8?>

لا يمكن أن تنتصر قضية ليس أصحابها مستعدين للتضحية من أجلها . غير أن هنالك فرقاً بين من يبحث عن المجد الشخصي ، وإحراز الانتصار على أعدائه في حياته ، وبين من يمتلك قضية ، ويسعى من أجل انتصارها ، حتى وإن أدى ذلك إلى التضحية بنفسه . . .

فالأول : إذا خسر ، ستكون في خسارته نهايته .

والثاني : إذا خسر ، فقد تكون في خسارته نجاحه .

فالأهداف العليا ، كالمثل والقيم والدّين ، ستجد من ينتصر لها يوماً ، ولذلك فمن يموت دون قضية ، يزيدها قوة ومناعة . . . فالتضحية بالنفس للقضايا . . . تقوّيها وتحييها .

بينما التضحية للنفس بالقضايا . . . تنهيها وتقضي عليها . وعلى أيّة حال فإن المغامرة من أجل الأهداف ، وخوض الغمرات في الدفاع عنها ، ضروة من ضرورات العمل للحق ، وواجب من واجبات الإيمان بالقيم .

وأساساً كيف نعرف صدق المدّعين إلاّ حينما يُدعون إلى التضحية والفداء ؟

إن أدعياء الحق كثيرون ، ولكن المستعدين لبذل كل شيء له ، هم الصادقون منهم ، وهم الأقلون . (فالناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم ، يدورونها ما درت معائشهم فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديانون) ، ويبدو أن ذلك من سنة الله في الخلق حتى يميز المجاهدين منهم عن الكاذبين . ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ 1 .

إن الطريق إلى تحقيق المثل العليا ، مليء بالأشواك كما هي الطريق إلى الجنة ، فقد (حفّت الجنة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات) . وإذا كانت لنا برسول الله قدوة حسنة ، فإن النبي (صلى الله عليه وآله) ، (خاض إلى رضوان الله كل غمرة ، وتجرع فيه كل غصّة وقد تلوّن له الأدنون ، وتألّب عليه الأقصون ، وخلعت إليه العرب أعنتها ، وضربت إلى محاربته بطون رواحلها حتى أنزلت بساحته عدواتها ، من أبعد الدار وأسحق المزار) . إذن (لا تفرطوا في صلاح ، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق) . لقد أوصى الإمام ولده الحسن (عليه السلام) - وهو العزيز على قلبه - إن يخوض كأبيه ، الغمرات للحق قائلاً : (جاهد في الله حق جهاده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وخض الغمرات للحق حيث كان) .

إن التضحية المطلوبة ، لا تعني بالضرورة أن يموت الإنسان من أجل قضيته ، ولكنها تعني حتماً الاستعداد للمغامرة من أجلها وعدم وضع حدّ لما تتطلبه من الغالي ، والرخيص . وهكذا كان الإمام علي (عليه السلام) كان دائماً على استعداد للمغامرة بحياته في سبيل الرسالة ، فما من غزوة إلاّ وهو أميرها ، أو بطلها ، وما من دعوة تتطلب التضحية إلاّ وهو أول من يستجيب لها .

وفيما يلي نموذج واحد من ذلك

روي أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج ذات يوم الفجر ، ثمّ قال : (معاشر الناس أيّكم ينهض إلى ثلاثة نفر قد آلبوا باللّات والعزّى ليقتلوني ، وقد كذبوا وربّ الكعبة) ؟
فأحجم الناس وما تكلّم أحد ، فقال (صلى الله عليه وآله) : (ما أحسب عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فيكم) . فقال له عامر بن قتادة : إنّه وعك في هذه الليلة ولم يخرج يصلّي معك ، فتأذن لي أن أخبره ؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : (شأنك) فمضى إليه فأخبره ، فخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) كأنه نشط من عقال ، وعليه إزار قد عقد طرفيه على رقبته ، فقال : يا رسول الله ما هذا الخبر ؟ قال النبي (صلى الله عليه وآله) : (هذا رسول ربّي يخبرني عن ثلاثة نفر قد نهضوا لقتلي) فقال علي (عليه السلام) : يا رسول الله أنا لهم سرية وحدي ، هوذا أليس عليَّ ثيابي ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (بل هذه ثيابي وهذا درعي وهذا سيفي) فدرّعه وعمّمه وقلّده وأركبه فرسه . وخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) فمكث النبي ثلاثة أيام لا يأتيه جبرئيل بخبره ولا خبر من الأرض ، وأقبلت فاطمة بالحسن والحسين على وركيها تقول : أوشك أن يُيَتَّم هذان الغلامان .
فأسبل النبي (صلى الله عليه وآله) عينه ، ثمّ قال : (معاشر الناس من يأتيني بخبر عليّ أبشّره بالجنّة) ، وافترق الناس في الطلب لعظيم ما رأوا بالنبي (صلى الله عليه وآله) وخرج العواتق ، فأقبل عامر بن قتادة يبشّر بعلي ، وأقبل عليّ أمير المؤمنين (عليه السلام) معه أسيران ورأس وثلاثة أبعرة وثلاثة أفراس .
فسأله رسول الله عن قصته ؟
فقال (عليه السلام) : يا رسول الله ، لمّا صرت في الوادي رأيت هؤلاء ركباناً على الأباعر فنادوني من أنت ؟
فقلت : أنا علي بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) .
فقالوا : ما نعرف لله من رسول سواء علينا : وقعنا عليك أو على محمد ، وشدَّ عليَّ هذا المقتول ، ودار بيني وبينه ضربات فضربته ، وقطعت رأسه وأخذت هذين أسيرين .
فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (قدّم إليّ أحد الرجلين) ، فقدّمه فقال : (قل : لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله) ، فقال : لنقل جبل أبي قبيس أحبّ إليّ من أن أقول هذه الكلمة! فقال : يا عليّ أخره واضرب عنقه ، ثمّ قدّم الآخر فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) له : (قل : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله) ، قال : يا محمد ألحقني بصاحبي فقال (صلى الله عليه وآله) : يا علي أخّره واضرب عنقه ، وقام أمير المؤمنين (عليه السلام) ليضرب عنقه فهبط جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : يا محمد إنّ ربّك يقرؤك السلام ويقول : لا تقتله فإنه حسن الخلق سخيٌّ في قومه .
فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : (يا عليُّ أمسك فإنّ هذا رسول ربّي عزّ وجلّ يخبرني أنّه حسن الخلق سخيّ في قومه) .
فقال المشرك تحت السيف : هذا رسول ربّك يخبرك ؟ قال : نعم . قال : والله ما ملكت درهماً مع أخ لي قطّ ولا قطبت وجهي في الحرب ، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله .
فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (هذا ممّن جرّه حسن خلقه وسخاؤه إلى جنّات النّعيم) 2 .

_____

1. القران الكريم : سورة العنكبوت (29) ، الآية : 2 و 3 ، الصفحة : 396 .

2. المقالة بقلم سماحة السيد هادي المدرسي نقلاً من موقع الرسمي لسيد هادي المدرسي .